

قضايا البيئة و الحاجة إلى التنظير الأخضر في العلاقات الدولية

Environmental issues and the need for a green theory in international relations

الدكتورة: **زنودة منى**

أستاذة محاضرة " ب " - كلية الحقوق و العلوم السياسية

جامعة محمد خيضر - بسكرة / الجزائر

m.zanouda@univ-biskra.com

تاريخ النشر :	تاريخ القبول :	تاريخ الإرسال :
2019/06/27	2019/06/19	2019/06/16

المخلص:

تركز الدراسة على بحث أهمية قضايا البيئة في العلاقات الدولية، هذه القضايا التي طرحت على الجانبين العملي و كذا الأكاديمي التحليلي للعلاقات الدولية منذ بروزها كقضايا عالمية خلال ستينات و سبعينات القرن الماضي. و في هذا الإطار شهدت الساحة السياسية في العديد من البلدان بروز ما يسمى بالسياسة الخضراء التي تقودها الكوسموبوليتانية البيئية أحزابا و حركات اجتماعية خضراء، هذا إلى جانب ما طرحته هذه القضايا من نقاشات أكاديمية بين الباحثين المنظرين في العلاقات الدولية خصوصا في ظل النقاش النظري الرابع بين التحليلات العقلانية و النظريات المعيارية و النقدية التي تحسب المقاربة الخضراء كأحد تياراتها.

الكلمات المفتاحية: الأزمة البيئية العالمية ; المقاربة الخضراء ; الحوار الرابع; العدالة البيئية

Abstract :

This study focuses on the importance of environmental issues in international relations. These issues have been raised in international relations since their emergence as global issues during the 1960s and 1970s. In this context, this lead to the emergence of so-called **green politics** which is conducted by the cosmopolitanian environmental parties and green social movements aiming to protect the nature and environment . In addition to these facts, international relations field witnessed an academic debates between the theorists about the importance of the ecological issues especially in the fourth theoretical debate between the so-called Rationalists and normative approaches.

Keywords : Global Environmental Crisis; Green Approach; Fourth Dialogue; Environmental Justice;

مقدمة:

تحظى قضايا البيئة في العلاقات الدولية الراهنة باهتمام أكاديمي و دولي كبير، نظرا لأهمية و خطورة المشكلات البيئية منذ ستينات و سبعينات القرن الماضي. فمن جهة تعتبر المشكلات البيئية مشكلات مشتركة بين كل الدول مثل قضايا التلوث، التصحر، اتساع طبقة الأوزون، الانقلاب الجوي... الأمر الذي يستدعي من المجتمع الدولي ضرورة توحيد الجهود من أجل إيجاد الحلول اللازمة و الفعالة لها، و من جهة ثانية تطرح العديد من القضايا البيئية تحديات قد تتحول إلى أزمات في إطار التفاعلات الدولية مثل مشكلات ندرة المياه و الأنهار المشتركة... و التي تسبب في الكثير من الأحيان نزاعات حدودية و توترات بين الدول.

و لم يقتصر الأمر على الجانب الأكاديمي، فقد شهدت الساحة السياسية في العديد من الدول خصوصا الغربية منها بروز تيارات سياسية و اجتماعية في شكل أحزاب سياسية و حركات اجتماعية تنادي بضرورة حماية البيئة و الطبيعة ضد التدخل البشري الجائر و ذلك في إطار ما يسمى بالسياسة الخضراء. و عليه تتمحور هذه الدراسة حول التركيز على هذا المجال البحثي الجديد نوعا ما في ميدان

العلاقات الدولية و تبيان أثاره على حركة التنظير في الميدان خصوصا في إطار الحوار النظري الرابع لنظريات العلاقات الدولية. وتهتم الدراسة بتسليط الضوء على الإشكالية التالية:

كيف اثر الاهتمام بقضايا البيئة عالميا على تحليل العلاقات الدولية ؟ وكيف انعكس ذلك إلى بروز الحاجة للتنظير الأخضر في نظريات العلاقات الدولية؟

و سنحاول الخوض في تفاصيل و ثنايا الموضوع و الإجابة على الإشكالية المطروحة من خلال العناصر التالية:

- تنامي الاهتمام بقضايا البيئة في السياسة الدولية.
 - قضايا البيئة من الطبيعة نحو العالمية.
 - قضايا البيئة و الحوار الرابع في العلاقات الدولية.
 - المقاربة الخضراء: بروز الحاجة إلى التنظير الأخضر في العلاقات الدولية.
- أولا: بروز الاهتمام بقضايا البيئة في السياسة الدولية:

شكلت قضايا البيئة أحد أبرز اهتمامات الناشطين في هذا المجال إلى جانب الباحثين الأكاديميين على حد سواء خلال فترة الستينات و بداية السبعينات من القرن الماضي، و التي تميزت بزيادة في نطاق المشكلات البيئية في العالم، فقد أدى النمو الاقتصادي السريع و التزايد الكبير في عدد السكان و التطور في التكنولوجيا الجديدة... كل هذه التطورات أدت إلى الاستهلاك المتزايد للطاقة و الموارد الطبيعية و التزايد في نسب التلوث، إضافة إلى المشكلات الطبيعية مثل التصحر، و زحف المدن، اتساع ثقب الأوزون... الأمر الذي أدى إلى بروز ما يسمى بأزمة البيئة العالمية **ecological crisis**. و قد تطورت قضايا البيئة من المخاوف المتعلقة بالمبيدات الحشرية خلال الستينات نحو الاهتمام المتصل بحدود النمو و القنبلة السكانية خلال السبعينات، كما انتقل الاهتمام خلال الثمانينات حول المطر الحمضي و الغبار النووي إلى الاهتمام العالمي بتآكل طبقة الأوزون و خسارة التنوع العضوي و قضايا التغير المناخي خلال الفترة الحالية (باترسون، 2014، ص: 389).

و لعل ما يثبت حالة الارتباط الحاصل بين أزمات البيئة العالمية و التفاعلات الدولية هو ذلك الترابط الحاصل بين ما هو بشري و ما هو طبيعي في الكوارث البيئية، حيث تصل إلى درجة السببية في بعض الظواهر، فيرى بعض العلماء أن إعصار كاترينا لسنة 2005 مثلا الذي ضرب الولايات المتحدة الأمريكية نجم عن ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، من جهة، وعن عدم مطابقة تخطيط مدينة نيو أورليز **New Orleans**، التي اجتاحتها الإعصار، لشروط حماية البيئة، من زاوية تجفيف معظم الأرض الرطبة التي تحيط بالمدينة، والتي كان من شأنها أن تمتص جزءا كبيرا من مياه الفيضان (حسن، 2018، ص: 85).

و هو الأمر الذي دفع مؤتمر الأمم المتحدة الذي عقد بجنيف إلى أن يربط بين تغير مناخ الكرة الأرضية والتحول الحضري السريع في العديد من الدول وبين الكوارث الطبيعية، ويبرهن على ذلك بلغة الأرقام: فحتى عام 1990 شهد العالم 261 كارثة طبيعية، نكب بها نحو 90 مليون شخص. وفي 13 علما فقط، تراوحت بين 1990 و 2003، وقعت 76 كارثة أضرت 164 مليون شخص (حسن، 2018، ص: 86).

و إلى جانب ذلك شهدت فترة نهاية الستينات ازدياد الاهتمام العالمي بقضايا التلوث خصوصا تلوث البحار و ذلك على اثر حادثة تسرب النفط من ناقلة توري كانيون سنة 1967 مما دعا منظمة الملاحه البحرية الدولية إلى التدخل من اجل منع التلوث النفطي في البحار(بيليس و سميث، 2004، ص: 657).

و لم يقتصر الأمر على المستوى الدولي و إنما شهدت العديد من الدول الغربية خلال الستينات ظهور أحزاب سياسية و حركات اجتماعية ترى في أن الأزمة البيئة ليست أزمة طبيعة فقط و إنما تعتبر أزمة مشاركة أيضا **participation crisis** ، حيث ظهرت العديد من الحركات الحقوقية التي طالبت بتفعيل القنوات الديمقراطية من اجل تحقيق المشاركة في صنع القرارات الاجتماعية و ضرورة تفعيل الاهتمام الشعبي بالمشاكل البيئية (Eckersly, 1992, p: 8) .

إلى جانب ذلك ظهرت أواخر الثمانينات العديد من الأحزاب السياسية في العديد من الدول التي تدافع عن قضايا البيئة و مناهضة الطاقة النووية على غرار حزب الشعب البريطاني الذي سمي لاحقا بالحزب الايكولوجي سنة 1975 الذي يعتبر أول حزب اخضر أوروبي، و الحزب البريطاني الأخضر الذي تأسس في سبتمبر 1985... في إطار ما يسمى بالسياسة الخضراء **green politics** (Eckersly, 1992, p: 12) . و قد وضعت هذه الأحزاب أربع مبادئ أساسية مشتركة للسياسة الخضراء هي: المسؤولية البيئية، العدالة الاجتماعية، نبد العنف، و الديمقراطية الشعبية. و تمثل هذه المبادئ الإطار المشترك لتشكيل الأحزاب الخضراء في العديد من الدول في أوروبا، إفريقيا و أمريكا اللاتينية و آسيا.. (Eckersly, 2013, p: 250).

ثانيا: قضايا البيئة من الطبيعة نحو العالمية:

رغم ارتباط قضايا البيئة بالطبيعة في كل أشكالها البرية و البحرية و الجوية، إلا أنها حازت على اهتمام عالمي منذ سنوات السبعينات كما اشرنا و قد أخذت الطابع العالمي من حيث كونها مشاكل مشتركة للإنسانية جمعاء، و على العموم مر التعامل البشري محليا و دوليا مع المحيط البيئي بخمس مراحل أساسية تحدد في (شكراني، 2017، ص ص: 43-45):

المرحلة الأولى: مرحلة اسطره البيئة: وهي مرحلة ظهور الإنسان البدائي في بيئة موحشة إلى درجة تقديس المناظر البيئية التي كانت تعترضه مثلما شهدته الحضارات القديمة المصرية، البابلية...من تقديس وتأليه الظواهر الطبيعية كالشمس مثلا.

المرحلة الثانية: مرحلة تفكير البيئة: وكانت خلال العهد اليوناني و التي تميزت بالفكر التأملي حول الطبيعة و البيئة المحيطة بالإنسان ودوره فيها.

المرحلة الثالثة: مرحلة استثمار البيئة: انطلقت مع تطور العلم الحديث أين تبلورت فكرة "الطبيعة في خدمة الإنسان" من خلال استغلال مختلف مواردها و تسخيرها لمصلحة الإنسان و تم ذلك منذ القرن السادس عشر نحو القرن التاسع عشر في إطار ما يسمى بمرحلة الاستغلال و السيطرة و عدم المبالاة بحقوق الكائنات الأخرى و مستقبل البشرية.

المرحلة الرابعة: مرحلة تهديد البيئة: و التي تزامنت مع تنامي ادوار العلم الحديث و تهديده لحياة الإنسان و مستقبله، خصوصا من خلال تطوير الهندسة الوراثية و الاستنساخ... كما غيرت من المحيط البيئي المحيط بالإنسان سلبا من خلال اتساع ثقب الأوزون و ارتفاع درجات حرارة الأرض و التقلبات المناخية...في إطار ما يسمى بمرحلة القهر و الاستبداد.

المرحلة الخامسة: مرحلة حماية البيئة: و التي انطلقت منذ أواخر الثمانينات و مطلع التسعينات من خلال المناداة بضرورة حماية البيئة و احترام حقوق الكائنات الأخرى و الحرص على مستقبل الأجيال القادمة.

وقد أثارت قضايا البيئة الاهتمام العالمي منذ الستينات و السبعينات من القرن الماضي و التي دعت إلى ضرورة تكريس "الاستغلال السليم والمستدام لكوكب الأرض وموارده"، حيث عقدت الأمم المتحدة في استوكهولم مؤتمرها المعني بالبيئة البشرية في عام 1972، و أصدرت من خلاله بيانا ختاميا يؤكد على ضرورة توحيد الجهود من اجل بيئة أفضل و قد تضمنت الفقرة السادسة من البيان ما نصه: "لقد بلغنا نقطة تاريخية تحتم علينا أن نصوغ إجراءاتنا في العالم أجمع متوخين أشد الحرص بشأن عواقيها البيئية. فربما أدى بنا الجهل أو اللامبالاة إلى إلحاق ضرر جسيم لا يمكن علاجه ببيئة الأرض التي هي عماد حياتنا و رفاهنا. وعلى العكس من ذلك، يمكن من خلال المعرفة الأكمل وتوخي الحكمة في العمل، أن نحقق لأنفسنا ولذريتنا حياة أفضل في بيئة أكثر تواءما مع احتياجات البشر وأمالهم..." (الأمم المتحدة، <http://www.un.org/ar/globalissues/environment>) و على اثر ذلك أقرت الأمم المتحدة العديد من الإجراءات من اجل حماية البيئة عالميا من بينها (الأمم المتحدة، <http://www.un.org/ar/globalissues/environment>)

← إنشاء برنامج أممي خاص بقضايا البيئة ببرنامج الأمم المتحدة للبيئة* **United Nations Environment Programme** والذي أقرته الجمعية العامة في ديسمبر 1972 و يهتم بالجوانب البيئية للكوارث والنزاعات، وإدارة النظم الإيكولوجية، والإدارة البيئية، والمواد الضارة، وكفاءة الموارد، وتغير المناخ.

← انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بالبيئة والتنمية في ريو دي جانيرو سنة 1992 سمي بمؤتمر "قمة الأرض"، وضع من خلاله إعلان ريو: "جدول أعمال القرن 21" الذي يتمحور حول مفهوم التنمية المستدامة كمحور لجميع الأنشطة الإنمائية للأمم المتحدة.

← وضع العديد من الاتفاقيات الدولية التي تهدف لحماية البيئة في مختلف أشكالها لعل من بينها: اتفاقية الأمم المتحدة للتنوع البيولوجي سنة 1992، اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر سنة 1994، اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ، بروتوكول كيوتو 1997...

ثالثاً: قضايا البيئة و الحوار الرابع في العلاقات الدولية:

المقاربة الخضراء أو التنظير الأخضر في العلاقات الدولية هو ذلك الاتجاه و التصور النظري الذي يركز على قضايا البيئة و تأثيراتها على التفاعلات الدولية، و قد ظهر هذا الاتجاه في إطار ما يسمى بالحوار الرابع في العلاقات الدولية و الذي دار بين النظريات التفسيرية و النظريات التكوينية خصوصا بعد ظهور التحليلات النقدية التي انطلقت من نقد الطروحات التفسيرية للمقاربات الواقعية و الليبرالية السابقة، بحجة أن الهدف من النظرية في العلاقات الدولية هو نقد واقع السياسة الدولية و تطويره و ليس فقط تفسيره كما تهدف الطروحات القديمة. و قد اشتهر التيار النقدي في العلاقات الدولية خلال ثمانينات القرن الماضي من خلال أبحاث كل من روبرت كوكس **robert cox** و اندرو لانكلتر **andrew lanklater** (بيليس و سميث، 2004، ص: 376)

و من بين أهم منظري التيار النقدي في العلاقات الدولية نجد روبرت كوكس الذي طرح سنة 1981 دراسة بعنوان "**Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory**" حاول من خلالها توجيه انتقاداته للتحليل السياسي الواقعي الذي انتقده بكونه غير موضوعي و بكونه تحليلا معياريا دفيئا من خلال تأكيد الواقعيين على كيفية تسيير و توجيه السياسة الخارجية للدولة خصوصا من خلال المصلحة الوطنية، و يرى كوكس هنا أن النظرية هي دائما مكرسة لخدمة البعض و تحقيق بعض الأهداف، كما و يقول هنا: "ليست هناك نظرية بحد ذاتها معزولة عن وجهة نظر لها في الزمان و المكان" و بالتالي تصبح هذه النظرية حسب كوكس كأيدولوجية أكثر من كونها نظرية. و يطلق كوكس تسمية نظرية حل المشكلات على هذا النوع من النظريات **Problem-solving theory** حيث أنها تحلل الواقع كما تراه في إطار علاقات القوة و العلاقات الاجتماعية الحاصلة و المؤسسات التي تنظمها، دون السعي إلى التغيير في هذا العالم لصالح

الإنسان . وهدفها الأساسي حسبه هو المحافظة على الوضع الراهن في ظل الظروف المتغيرة و التحديات المطروحة (cox,1981, pp: 128-129).

لكن بالمقابل لذلك يرى أن النظرية النقدية هي نظرية كلانية holistic هدفها دراسة و تحليل الواقع من خلال تمحيصه و دراسة سبل التغيير فيه نحو الأفضل لهذا يؤكد كوكس على مثالية الفكر النقدي من خلال طموحه نحو التغيير للأفضل (cox,1981, pp:129) ، فهو يدعو إلى عدم أخذ المفاهيم والمنظومات المعرفية كما هي، بل يجب نقدها والعودة تاريخيا إلى مرحلة بروز هذه المنظومة ووضعتها في إطارها الزمني والمكاني، للكشف عن الأسباب التي جعلت هذه المنظومة تستمر وتهيمن وغيرها من المنظومات تختفي وتندثر.

النوع الثاني من النظريات هي النظريات النقدية و التي تقف موقفا محايدا من الواقع الذي تحلله، كما أنها تهدف إلى تحليل واقع العلاقات الاجتماعية و الأطر المؤسسية من حيث خلفياتها و أسباب تطورها و سبل تطويرها و تغييرها، و في هذا الإطار يقول كوكس أن النظرية النقدية يجب أن تكون أكثر انعكاسية reflexive من خلال الوعي الذاتي بظروف المكان و الزمان التاريخيان اللذان يوجد فيهما المرء و فهم الديناميات التي ولدت هذه الظروف (cox,1981, pp130).

و لعل أهم إضافة طرحها كوكس من خلال مؤلفاته هو تحديده لشروط لتحقيق النظرية النقدية في العلاقات الدولية مجموعة التي حددها في (بيليس و سميث، 2004، ص:379):

- أن تقع بمعزل عن النظام السائد في العالم و أن تهتم بكيفية تطوره،
- أن تنظر في مجتمع البنية السياسية و الاجتماعية ككل و تسعى لفهم عملية التغيير في الكل و أجزائه،
- أن تبحث في أصول و مشروعية المؤسسات الاجتماعية و السياسية كما تهتم إذا كانت هذه المؤسسات في حالة تغيير و تحليل كيفية حصوله،

و بالعودة للحديث عن تحليلات المقاربة الخضراء في العلاقات الدولية، فترتبط التحليلات الخضراء بالمقاربة النقدية في إطار دراسة العلاقة بين هيمنة الطبيعة و هيمنة الإنسان التي طرحها الجيل الأول من منظري مدرسة فرانكفورت (echersley,2013,p:251). و قد حاول المنظرون في هذا المجال تحقيق شروط النظرية النقدية التي تكلم عنها كوكس من خلال التركيز على الأبعاد الاجتماعية في الظاهرة الدولية و ارتباطها بالأوضاع البيئية عالميا هذا من جهة، و من جهة ثانية يهتم المنظرون الخضر بمحاولة تصور واقع بيئي أفضل في السياسة الدولية من خلال تحليل أسباب الأزمات و الكوارث البيئية و محاولة إيجاد الحلول اللازمة لها من جهة ثانية، و تعتبر "روبن اكيرسلي" أن النظرية الخضراء ما هي إلا امتداد من امتدادات النظرية النقدية في إطار ما سمته بالايكولوجيا السياسية

النقدية CRITICAL POLITICAL ECOLOGY التي تعتبر امتداد لفكر امينويل كانط، هيجل و كارل ماركس (eckersley,2004,p:8)

و على العموم، انطلقت المقاربة الخضراء في تحليلها للتفاعلات الدولية انطلاقا من كونها مناقضة للتحليلات العقلانية خصوصا الواقعية و الليبرالية منها، فلطالما اعتبرت كل من الليبرالية الجديدة والواقعية الجديدة القضايا البيئية ضمن خانة القضايا الجديدة في العلاقات الدولية حيث همشت الواقعية البنيوية أهمية قضايا السياسة الدنيا التي من بينها قضايا البيئة بالنسبة للدولة و ربطت الاهتمام بها إلا في حالة ارتباطها بقضايا الأمن القومي حيث " و انطلاقا من عالمهم الهوبزي يؤكد الواقعيون الجدد انه ليس هناك مفر من السلوك التنافسي للدول و ذلك بسبب النظام الفوضوي لنظام الدول، و يؤكدون انه سيكون من الحماقة بالنسبة إلى الدول أن تسعى إلى التعاون البيئي الذي لا يمنح مكاسب مطلقة"(دان و اخرون، 2016، ص:623). لكن بالمقابل لذلك أكدت الليبرالية الجديدة على أهمية تحقيق التعاون الدولي في المجال البيئي من خلال التأكيد على ضرورة تحقيق الاستغلال العقلاني للطبيعة عن طريق المؤسسات الدولية (دان و اخرون، 2016، ص:623).

إلى جانب ذلك استهدفت النظرية الخضراء توجيه انتقاداتها النظرية و الفكرية خلال مطلع التسعينات للفكرين الرأسمالي و الشيوعي، حيث قدمت انتقاداتها الخاصة للرأسمالية الغربية و الشيوعية السوفياتية باعتبارهما شكل من أشكال الأيديولوجية الصناعية على الرغم من الاختلافات بينهما حول دور الدولة و السوق. حيث ترى النظرية الخضراء أن كل من الفكر الرأسمالي و الاشتراكي قد تكونا و تطورا خلال ما سموه "بقرن الوفرة" أين كانت الموارد الطبيعية تستطيع دعم النمو الاقتصادي و التطور التكنولوجي الذي ميز هذا القرن، و أن كلا الفكرين كانا متفائلين بفائدة التطور التكنولوجي و الاستغلال المتزايد للطبيعة و مواردها دون مراعاة آثار ذلك على المدى البعيد(دان و اخرون، 2016، ص:611).

و قد تأثر الفكر السياسي الأخضر بمقاربة تراجيديا العوام **The Tragedy of the Commons** لغاريت هاردين Garrett Hardin والتي أطلقها عام 1968 ليصف من خلالها المشاكل التي تتطلب تغييرا في مبادئ وسلوكيات الأفراد و قيمهم، والكلمة مؤلفة من شقين: "**Tragedy**" و يقابلها بالعربية المأساة. "**Commons**" التي تعني الشيء المشترك أو العام، وصف من خلالها هاردين حالة استنزاف الموارد المشتركة من قبل الأفراد الذين يتشاركون به بصورة مستقلة و غير عقلانية و ذلك وفقا للمصلحة الذاتية لكل منهم على الرغم من إدراكهم أن استنزاف الموارد المشتركة يتعارض مع المصلحة المشتركة للمجموعة في المدى الطويل.

و يقدم هاردين هنا مثالا حول القرية التي يرى فيها الأفراد أبقارهم لكن الأرض لا يمكنها أن تقدم الكلاً إلا لعدد محدود منهم، ولكن نظرا لسعي الأفراد وراء مصالحهم الذاتية فيطمح البعض لامتلاك أكثر من بقرة واحدة و بالتالي يضاعف من منافعه منها و يتشارك كل الأفراد في الخسائر الناجمة عن ذلك. وهذا المثال يفسر كيفية استخدام الموارد الطبيعية المشتركة مثل: الأنهار، المياه، الطبيعة... و التي تستهلك بقدر مختلف بين الدول بينما يشترك الكل في تحمل المخاطر و الخسائر، و أهم نتيجة توصل إليها هاردين من خلال تحليله المذكور انه في ظل غياب مؤسسات تعمل على تنظيم الاستغلال المشترك للموارد الطبيعية في العالم (باترسون، 2014، ص: 392-393).

و بناءا على تحليلات هاردين انطلق اتجاه خاص من المنظرين الخضر يطلق عليهم تسمية المؤسسيون البيئيون للدعوة إلى ضرورة إقامة مؤسسات عالمية مركزية تعمل على رعاية الشؤون البيئية بما يحقق الاستفادة، و كما يشترك المؤسسيون البيئيون مع الطرح الواقعي و اللبرالي حول فوضوية النظام الدولي الأمر الذي يزيد في نظرهم من حدة المشكلات البيئية لكنهم بالمقابل يؤكدون على دور المؤسسات الدولية و الفواعل من غير الدولة إلى جانب الدولة طبعاً التي يعتبرونها فاعل أساسي في العلاقات الدولية من اجل رعاية القضايا الايكولوجية العالمية (باترسون، 2014، ص: 398).

رابعا: المقاربة الخضراء: بروز الحاجة إلى التنظير الأخضر في العلاقات الدولية

تعتبر المقاربة الخضراء نقلة نوعية هامة في مجال تحليل العلاقات الدولية، حيث حولت الاهتمام الكلاسيكي لميدان العلاقات الدولية و الذي ارتبط كثيرا بقضايا الحرب و السلام و حتى التعاون بين الدول (قضايا السياسة العليا) في إطار التحليلات السابقة نحو الاهتمام بقضايا البيئة كالتيغير المناخي و طبقة الأوزون، مشاكل البيئة كالتلوث و التصحر.. حيث يذهب طموح النظرية الخضراء إلى ابعاد بكثير من الفهم الضيق للمسائل البيئية، فالأسئلة الكلاسيكية لعلم العلاقات الدولية التي كانت متمحورة حول البحث عن السلام و عمليات سياسة القوة و مسألة الحكم العالمي و المسائل الحتمية كالعدالة الكونية كلها تمر بإعادة تفكير دقيقة في ضوء التحدي الايكولوجي (باترسون، 2014، ص: 390).

و قد زادت أهمية دراسة مثل هذه المشكلات الدولية خصوصا أنها مشكلات مشتركة بين كل الدول قد تسبب أزمات بالنسبة للبعض منها مثل مشكلات المياه و ندرتها و الأنهار المشتركة... و التي كانت تدرس في السابق خصوصا من قبل اللبراليين على أنها احد القضايا الجديدة بالنسبة لأجندة الدولة داخليا و خارجيا تستدعي حسمهم تكثيف التعاون الدولي من اجل حلها. لكن وبعد هذه الفترة و نظرا لأهمية هذه المشكلات برزت العديد من الدراسات الأكاديمية في العلاقات الدولية التي تهتم بالقضايا الايكولوجية و قضايا التعاون البيئي الدولي. و في هذا الإطار طرحت المقاربة الخضراء على مجموعة من المراحل (الأجيال (252: echersley, 2013, p):

- اهتم الجيل الأول من المنظرين الخضر بانتقاد اللاعقلانية البيئية للمؤسسات الاجتماعية الأساسية مثل: السوق والدولة حيث أشاد المنظرون السياسيون الخضر بدور الديمقراطية الشعبية و المجتمعات المستدامة بيئياً كبداية.
 - هذا في حين اهتم الجيل الثاني من المنظرين الخضر بالمفاهيم ذات الطابع العالمي كالعدالة البيئية العالمية، الديمقراطية البيئية، والمواطنة البيئية و الدول الخضراء...
- كما طرح منظورها مجموعة من المفاهيم الجديدة للتحليل مثل: التنمية المستدامة، الأمن البيئي، العدالة البيئية...

أ. مفهوم الدولة الخضراء و الديمقراطية الخضراء:

مفهوم الدولة الخضراء **green state** مفهوم طرحته الباحثة روبن اكرسلي* في مؤلفها الصادر سنة 2004 بعنوان "الدولة الخضراء: إعادة النظر في الديمقراطية" **green state rethinking democracy** " و الذي تساءلت من خلاله حول قدرة الدولة الليبرالية الحديثة على تحقيق التنمية البيئية المستدامة المطلوبة في إطار توجهها للاقتصاد و المجتمع (eckersley,2004,p:2) ، و تقول في هذا الإطار "من خلال "الدولة الخضراء" ، لا أعني ببساطة دولة ديمقراطية ليبرالية تديرها حكومة حزب أخضر مع مجموعة من البرامج البيئية بدلا من ذلك، أعني دولة ديمقراطية ذات مبادئ تنظيمية وإجراءات تتوافق و الديمقراطية الايكولوجية بدلا من الديمقراطية الليبرالية" (eckersley,2004,p:2) ، و تهدف الديمقراطية الايكولوجية حسب اكرسلي إلى تحويل دور الدولة من دور الفاعل الأناني الذي يهدف لحماية أراضي و تجاهل أو استبعاد احتياجات الأراضي الدول الأخرى إلى دور الوكيل البيئي الديمقراطي العابر للحدود (eckersley,2004,p:3). و هذا النوع من الديمقراطية يتطلب حسب اكرسلي إجراءات ديمقراطية جديدة، وأشكال جديدة للتمثيل السياسي والمشاركة ، و سبل أكثر مرونة من العلاقات بين الدول والشعوب (eckersley,2004,p:3).

و الديمقراطية الايكولوجية حسب إيكسلي تتطلب تحقيق مبدأ أساسي يتعلق بمشاركة كل من يحتمل تأثره بالمخاطر البيئية في صنع القرارات و السياسات التي تولد هذه المخاطر (eckersley,2013,p:112). و بالتالي تتحول الديمقراطية الايكولوجية من ديمقراطية المتضررين إلى ديمقراطية من أجل المتضررين على حد تعبير اكرسلي "democracy of the affected but rather a democracy for the affected" (eckersley,2004,p:3).

إلى جانب ذلك حاولت اكرسلي تحديد أهم التحديات و العوائق التي تحول دون تحقيق الدولة الخضراء حددتها في ثلاث تحديات أساسية هي (eckersley,2004,p:14):

1. الطابع الفوضوي للنظام الدولي: وذلك بسبب السلوك الأناني و السلبي بين الدول ذات السيادة والتي تؤدي في النهاية إلى تحقيق ما سماه هاردين "مأساة العموم".
2. سلوك الدول الهادف إلى تعزيز التراكم الرأسمالي و المرتبط أساسا بالعمولة تعتبر المحرك الرئيسي للتدمير البيئي.
3. العجز الديمقراطي للدولة الديمقراطية الليبرالية: حيث تعتبر الليبرالية حسب العديد من المنظرين السياسيين الخضر غير قادرة على الاستجابة للمشاكل البيئية و غير قادرة على حماية الممتلكات العامة مثل البيئة.

ب. الديمقراطية الخضراء كآلية لتجاوز الظلم البيئي:

من بين أهم الإضافات التي ركز عليها المنظرون الخضر على المستوى المحلي مفهوم الديمقراطية الخضراء **Green democracy** كآلية لتحقيق التسيير الرشيد للبيئة، وهي الديمقراطية القائمة على تفعيل دول المشاركة السياسية و الرقابة و المساءلة حول السلوكات و القرارات البيئية للنظام السياسي و هذا في مواجهة ما سموه بأشكال "الظلم البيئي" و التي يحدثها الوكلاء الاجتماعيون بتحويل التكاليف البيئية لقراراتهم إلى الخارج دون أن يكون لممثلهم علم بهذه القرارات التي تولد مخاطر بيئية (eckersley,2013,p:252).

ت. مفهوم العدالة البيئية:

تعرف العدالة البيئية بأنها "اتخاذ الإجراءات القانونية للحيلولة دون نشوء بؤر للتلوث البيئي في المناطق التي تسكنها الطبقات الفقيرة" و بالمقابل يطرح الاستغلال اللامسؤول للبيئة عالميا ما يسميه المنظرون الخضر بالاعدالة البيئية **environmental injustices** ، و التي تنتج عن انعدام الرقابة على الوكلاء الاجتماعيين الذين يعملون على تصدير الآثار السلبية لقراراتهم و مشاريعهم المضرة للبيئة ليتحملها أطراف أبرياء في الخارج في العالم الثالث، و مقابل ذلك يطرح الجيل الجديد من المنظرين الخضر أمثال روبن اكيرسلي ما يسمى "بالعدالة البيئية" و التي تقوم على مجموعة من الشروط و الأسس حددتها في (eckersley,2013,p:253):

1. الاعتراف الأخلاقي الموسع من قبل أفراد المجتمع بالمخاطر البيئية (جميع المواطنين، و الشعوب، والأجيال المقبلة،....
2. مشاركة المواطنين وممثلهم في الجماعات المحلية المعرضة للخطر في القرارات المتعلقة بالبيئة (بما في ذلك وضع السياسات، والتشريع، وصنع المعاهدات، والإدارة...).
3. وضع استراتيجيات من اجل ضمان تقليل المخاطر في المجال البيئي.

4. توزيع عادل للمخاطر البيئية التي تكون مقبولة من خلال قرارات تتخذ بطريقة ديمقراطية بين جميع الأطراف المتضررة.

5. تعويض الأطراف التي تعاني من آثار المشاكل الإيكولوجية.

وفي ذات السياق طرح منظرو المقاربة الخضراء فكرة "الحوكمة البيئية" القائمة على الاستخدام الأمثل للبيئة و الطبيعة كموارد مشتركة من أجل خدمة الأجيال الحاضرة و القادمة.

من وجهة نظر انطولوجية، طرح الاهتمام بقضايا البيئة على الجانب التنظيري للعلاقات الدولية مجموعة من التحديات التحليلية في إطار الحوار بين نظريات العلاقات الدولية حددها كل من ستيف سميث و جون بيليس في مؤلفهما "عولمة السياسة العالمية" في:

الأولى: يتعلق بأهمية الدولة و دورها في العلاقات الدولية، حيث لا طالما اعتبرت الدولة الفاعل الأساسي و قد تكون الوحيد في التفاعلات الدولية بالنسبة للنظريات السابقة في إطار ما سموه "بمركزية الدولة و سيادتها" و أن السياسة الدولية تحركها الدول التي تسعى وراء تحقيق مصالحها. لكن مشاكل البيئة تمثل قضايا تتحدى و تتخطى الدولة و سيادتها، كما أن المشاكل البيئية نادرا ما تنجم عن سياسات وطنية متعمدة حيث تعتبر تأثيرات جانبية غير مقصودة لعمليات اقتصادية و اجتماعية أوسع نطاقا. الأمر الذي يفتح المجال لعدد كبير من الفواعل من غير الدول مثل الشركات، المؤسسات المالية، المجموعات الاجتماعية و الأفراد.. (بيليس و سميث، 2004، ص:666) و في هذا السياق يؤكد المنظرون الأخضر على دور الفواعل الجديدة في إطار ما يسمونه بالكوزموبوليتانية العالمية التي تحركها: الحركات الاجتماعية الخضراء، الأحزاب السياسية الخضراء، المؤسسات الدولية و المحلية المختصة في البيئة...

أما التحدي الثاني الذي فرضته قضايا البيئة، فيتعلق بإعادة طرح العلاقة بين ما هو محلي و ما هو دولي أو عالمي في النشاط السياسي حيث تحتوي قضايا البيئة على مجموعة من الروابط بين المسارات المحلية و القطرية و الدولية ففي الكثير من الأحيان ما تتطلب المشاكل البيئية تدخل و تفاعل جميع الأطراف الوطنية الرسمية، و الأطراف رسمية مثل المنظمات البيئية الغير حكومية و الشركات المتعددة الجنسيات إلى جانب المنظمات الدولية... لتثبت بذلك تراجع أهمية مسألة الحدود الوطنية للدولة و الفواصل بين ما هو داخلي و ما هو دولي (بيليس و سميث، 2004، ص:668).

الخاتمة:

ما يمكن التأكيد عليه في الأخير أن قضايا البيئة تعتبر من القضايا الهامة في العلاقات الدولية خصوصا في الفترة الأخيرة في ظل التحديات التي تطرحها أزمة البيئة للعالمية و المرتبطة بشكل أساسي بالسلوك الأناني للإنسان و الدول بشكل عام على النحو الذي صاغه غاريت هاردين منذ الستينات.

وقد حاول المنظرون في العلاقات الدولية في إطار المقاربة الخضراء معالجة مثل هذه القضايا ذات التأثير الهام على سلوك الدول والعلاقات بينها واهتم الجيل الجديد من المنظرين الأخضر بقضايا البيئة كأحد أهم أقطاب السياسة الداخلية والخارجية للدولة، وقد طرحوا في هذا السياق العديد من المفاهيم الجديدة في تحليل العلاقات الدولية والتي لم تكن محل اهتمام من قبل مثل مفهوم الدولة الخضراء، العدالة البيئية...، لكن تبقى هذه التصورات النظرية مجرد اجتهادات نظرية تتطلب التعمق أكثر حول معالمها وأسسها خصوصا أن قضايا البيئة قد تكون في بعض الأحيان من بين الطابوهات التي تشوبها الضبابية في المعالجة لارتباطها المباشر بالمصالح المادية للدول الكبرى التي تعد المتسبب الأساسي في الكوارث البيئية منذ أعقاب الثورة الصناعية، فرغم كونها طرفا أساسيا أو على الأقل مشاركا في المحافل الدولية المرتبطة بالبيئة إلا أنها من جهة ثانية تسهم في إفشال هذه الجهود من خلال عدم الالتزام بالاتفاقيات الدولية وعدم الإيفاء بالمستلزمات المالية اللازمة لتجاوز الخسائر البيئية، ولعل أبرز مثال هنا هو إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في جوان 2017 عن انسحابه من اتفاقية باريس للمناخ وإلغائه للتعهدات المالية الموجهة لصندوق المناخ بحجة أنها إهدار لثروات الشعب الأمريكي، الأمر الذي يدعو للبحث حول سبل تجاوز المنطق الأناني والمصلحة للدول الموافق لتحليلات الواقعيين نحو تحقيق العدالة البيئية عالميا بشكل حقيقي وفعال.

قائمة المراجع المعتمدة:

أولا: باللغة العربية:

الكتب:

1. ماثيو باترسون، "النظرية الخضراء"، من مؤلف: سكوت بورتشيل، اندرو لينكليتر و آخرون، نظريات العلاقات الدولية، (تر: محمد صفار). القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014.
2. جون بيليس، ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، (تر: مركز الخليج للأبحاث)، الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث، 2004
3. الحسين شكراني، عبد الرحيم خالص، الإنسان والبيئة: مقاربات فكرية واجتماعية واقتصادية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2017

الدوريات:

4. عمار علي حسن، "البيئة والعلاقات الدولية ... من الأتسنة إلى التنمية"، مجلة شؤون عربية، عدد: 172، ربيع 2018.

المراجع الالكترونية:

5. الأمم المتحدة، "قضايا عالمية: البيئة" متاح على موقع الأمم المتحدة بالعربية على الرابط التالي:

<http://www.un.org/ar/globalissues/environment>

Books :

6. Robyn Eckersley, **Environmentalism and Political Theory: Toward an Ecocentric Approach**, New York : state university press, 1992
7. Robin Ekersley, " **green theory**", in ed: Tim Dunne, Milja Kurki, Steve Smith, **International Relations Theories Discipline and Diversity**, 3rd ed, united kingdom: OXFORD university press, 2013
8. Robyn eckersley, **the green state: rethinking democracy and sovereignty**, London: the MIT press, 2004.

Articles :

Robert W. Cox, " Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory" Journal of international studies, vol:10, no:02 1981

* يمكن الاطلاع على موقع برنامج الأمم المتحدة للبيئة على الرابط التالي:

[/https://www.unenvironment.org](https://www.unenvironment.org)

* روبن اكيرسلي رئيسة قسم العلوم السياسية في جامعة مالبورن استراليا، درست القانون في استراليا، كما درست في جامعة كامبريدج في بريطانيا و حصلت على شهادة الدكتوراه في السياسات البيئية من جامعة تازمانيا في استراليا.